السمات الاجتماعية والأدبية للعرب مابين الجاهلية والإسلام

د.إبراهيم صالح إدريس أبوبكر[*]

د. خالد محمد الفكي أحمد[*]

---

[*] - أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية ، كلية التربية الحصاحيصا، جامعة الجزيرة.

[*] - أستاذ مساعد، قسم الجغرافيا والتاريخ، ، كلية التربية الحصاحيصا، جامعة الجزيرة.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

ملخص البحث

تتلخص هذه الدراسة في توضيح السمات الاجتماعية والأدبية في المجتمع العربي ودور الإسلام فيها.اتبع البحث المنهج التاريخي والوصفي التحليلي في توضيحه للصور الاجتماعية والأدبية للمجتمع الجاهلي وأثر الإسلام في ذلك. من أهداف البحث معرفة آراء الأدباء في مكانة الشعر والشعراء في الجاهلية والإسلام، وتوضيح السمات الاجتماعية والأدبية مابين الجاهلية والإسلام.

يشتمل البحث على مبحثين فالأول منه بعنوان: من سمات الحياة الاجتماعية والأدبية في العصر الجاهلي، والثاني أثر الإسلام على الحياة الاجتماعية والأدبية في صدر الإسلام، ثم كانت نهاية البحث بالخاتمة التي احتوت على أهم النتائج والتوصيات التي توصل إليها الباحثان ومنها: أنَّ المجتمع الجاهلي كانت تسوده روح القبلية التي أدت إلى الحروب والمنافرات والمناظرات . توحيد العرب في ديانة واحدة ألقى بظلاله على الأدب العربي واستخدم الشعر كأداة لإظهار القيم الدينية. إن ظهور الإسلام أثرى السمات الاجتماعية والأدبية والثقافية للمجتمع العربي. توصي الدراسة بتناول أدب تلك الفترة في تاريخ العربية من أطر متعددة تاريخية وأدبية ونقدية ولغوية مع إعطائها حقها ومستحقها من الشرح والتحليل.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

Abstract

This study aims to clarify the social and literary features and the role of Islam in Arab society. This study followed the historical, descriptive and analytical approach in explaining the social and literary images of the pre-Islamic society and the impact of Islam on it. The study aims to find out the views of writers and poets in the pre-Islamic and explain the features of art and society. The study consists of two topics; the first one is about: Attributes of social and literary life in the pre-Islamic era, the second is about; the impact of Islam in the literary and social life in Islam. The study finds that the pre-Islamic society was dominated by tribal which led to war and repulsion. Unify the Arab in one religion cast a shadow over Arab literature and poetry used as a tool to show the religious values. The study recommends that taking the literature of the period in Arab history from multiple frameworks historical, literary, commentary and linguistic with explaining and analyzing.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين القائل:"أنا أفصح العرب بيد أنّي من قريش" [1]وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد؛ فإنّ الشّعر أهمّ ما يُعبّر به عن أوضاع المجتمع بدقة وجمال، وبه يفهم ماله وما عليه من أتراح وأفراح وقضايا، حيث يقرض الشاعر ذلك بصورة جميلة فيكون لسان الأمة في فصاحتها وبلاغتها وأسرارها الكامنة، وهذا البحث يتناول السمات الاجتماعية والأدبية للعرب مابين الجاهلية والإسلام.

أهداف البحث:

1. الوقوف على صور الحياة الاجتماعية في العصر الجاهلي والإسلامي.
2. الوقوف على صور الحياة الأدبية وتبين اتجاهات الأدباء .
3. معرفة آراء الأدباء في مكانة الشعر والشعراء في الجاهلية والإسلام .
4. توضيح السمات الاجتماعية والأدبية مابين الجاهلية والإسلام.

أهمية البحث :

إبراز القيم الأدبية والاجتماعية للمجتمع العربي من خلال النصوص الشعرية وأثر الإسلام على ألفاظ ومعاني الشعر والشعراء.

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في توضيح السمات الأدبية والاجتماعية للعرب من خلال أدبهم في العصرين الجاهلي والإسلامي.

أسباب اختيار البحث:

تأتي أسباب اختيار الموضوع من أن الأدب يواكب للحياة وأن الأدب يتأثر بالحياة الاجتماعية ويؤثر فيها.

([1]) البيهقي، أحمد بن الحسين، (شعب الإيمان) ط1 الرياض (مكتبة الرشد 2013) ج 3 - 469

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

منهج البحث:

اتبع البحث المنهج التاريخي الوصفي التحليلي في توضيحه للصور الاجتماعية والأدبية للمجتمع الجاهلي وأثر الإسلام في ذلك.

حدود البحث :

الحدود الزمانية : قبل الإسلام بمائة وخمسين سنة وبعده إلى عام 41هـ .

الحدود المكانية : الجزيرة العربية .

هيكلة البحث:

يشتمل البحث على مبحثين فالأول منه بعنوان: من سمات الحياة الاجتماعية والأدبية في العصر الجاهلي، والثاني أثر الإسلام على الحياة الاجتماعية والأدبية في صدر الإسلام.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

المبحث الأول

من سمات الحياة الاجتماعية والأدبية في العصر الجاهلي

يرى الباحثان أنَّ البيئة الجاهلية هيمنت على مشاعر البدوي وأفكاره وتدخلت في تكوينه وصياغته حسب ما تقتضيه، ودفعت به إلى حياة تنسجم مع ما تفرضه عليه، فكان منفعلاً معها، فعاداته وقيمه مصوغة من بيئته ؛ ولذلك نراه منفرداً في بعض خصائصه بين القبائل الأخرى.

فكانتِ القبائل العربية قبل الإسلام تعيش في شبه الجزيرة العربية، وهي أرض صحراوية وذات طبيعة جبلية، ممَّا جعل حياتهم في تلك الفترة حياة عربية خالصة لم تختلط بهم المجتمعات الأخرى نتيجة للبيئة القاسية التي يعيشون فيها . وكان لذلك دورٌ كبير في حماية اللغة العربية من الاختلاط باللغات الأخرى، ممَّا جعلها سليمة من اللحن والتداخل اللغوي، وأيضاً حافظوا على النسب العربي من التمازج والاختلاط بالشعوب الأخرى وفي ذلك يقول أحمد شلبي:(وكانت القبلية هي التي تشكل المجتمع في تلك الفترة والعصبية القبيلة هي التي تحمي القبيلة من اعتداء الآخرين، ولا يمكن أن يعيش في البادية شخص أو أشخاص دون أن يكونوا أفراداً في قبيلة يحمونها وتحميهم).[1]

لذلك كانت الحروب بين القبائل تدور لفترات طويلة نسبة لأنَّ لغة السلاح هي اللغة السائدة في تلك الفترة ويعدُّ الأخذ بالثأر من أقرب وجوه العدالة عندهم وكانوا لا يقبلون الدية في قتيل، ويعيرون من قبلها ولعلَّ ذلك واضحٌ في قول المهلهل* في مقتل أخيه كليب حيث يقول[2]:

ولستُ بخالعٍ درعيْ وسيفيْ ... إلىْ أنْ يَخْلَعَ الليلَ النهارُ

وإلَّاْ أنْ تبيدَ سراةُ بكرٍ ... فلاْ يَبقىْ لَهَاْ أبداً آثارُ

---

(1) أحمد شلبي، التاريخ والحضارة الإسلامية، القاهرة، مطبعة النهضة المصرية الطبعة الرابعة 1966مص:79،78.

* . المهلهل بن ربيعة التغلبي أخو كليب كان فصيحاً شديد البأس في الحروب، وقد جمعت أشعاره في ديوان وهو أقدم شاعر جمع له ديوان، ولم يصل إلينا هذا الديوان .ولكن بعض المعاصرين جمع له ديواناً أخذه من أقواله في كتب الأدب وغيرها، انظر كتاب الأغاني ج4، ص:148.جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، ج1 ، ص: 120.

(2) محمد عثمان علي، في أدب ما قبل الإسلام، لبنان بيروت، دار الأوزعي. ط3 1986م، ص :50.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

يقولُ الشَّاعرُ بأنَّه لنْ يضعَ سيفه أبداً ويترك الحرب إلا أن يأخذ ثأر أخيه ويقضي على أسياد بكر مادام على قيد الحياة أو ينتهي من قبيلة بكر التي قتلت أخاه هذا إصرارٌ واضحٌ على الأخذ بالثأر، وفي البيت الأول استعارة مكنية حيث شبه النهار بإنسان والليل بثوب ثم حذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو (خلع) وهي استعارة رائعة رغم صعوبة الموقف.

وكان من أكبر اهتماماتهم العناية بالخيل لأنَّها ترتبط ارتباطاً وثيقاً بحياتهم حيث تعدُّ عندهم هي مصدر العزة والمنعة ومكسبهم في الغزوات والحرب والصيد . ويكون الصيد مكسب الفقراء والضعفاء.

أمَّا الفوارس وذوو الشرف فما كانوا يريدون الكسب إلا في الغزوات والغارات التي هي رمز البطولة والشجاعة. وتعدُّ من أبرز القيم والمثل عندهم صفات الشخصية الكاملة التي تتوفر فيها المروءة لحماية القبيلة والضعفاء والذود عن العرض والكرم الذي لهم فيه ضروب شتى ومنهم من شاع صيته في الكرم مثل حاتم الطائي وغيره حتى أصبحوا يتسابقون في إكرام الضيوف.

وكانَ منْ عاداتهم أنْ يشعلوا النيران على الأماكن العالية ليراها السارون في الصحراء فيهتدوا بها إلى المكان. وكان من عاداتهم أيضاً إذا ضل الطريق الساري ولم يرَ ناراً يهتدي إليها نبح كما ينبح الكلب فتسمع صَوتَه الكلاب وتنبح لصوته فيهتدي بها إلى مكان الحي. وتُكافأ هذه الكلاب على ذلك بنصيب ممَّا يُذبح له لضيافته : فيقول النابغة الجعدي:

عُوْدِيْ فِي سَوادِ الليلِ بَعْدَ إعتسافه ... لينـــبحَ كلـــبٌ أو ليفـــرعَ نـــومُ

فجـــاوبه متـسمع الـصوت للقـرى ... لـــهُ عنـــدَ إتيـــان الملمّـــينَ مطعـــمُ

يكـادُ إذَاْ مَاْ أبصرَ الضيفَ مُقبلاً ... يكلمـهُ مـنْ حُبـهِ وَهُـوَ أَعجـمُ[1]

(1) أبو دياب، خليل إبراهيم أبو دياب،النابغة الجعدي،حياته وشعره - دمشق،دار القلم،بيروت، دار المنارة ط1،1987م، :58.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

وإنَّ الشّعرَ يُصورُ حقيقة أهله ونفسية قائليه بكل ما لهم من بطولات وأمجاد وبأس وشدة وعصبية وغضب، وكرم ووفاء يصور خصال الخير كما يبين دواعي الشر ويسجل أيامهم ووقائعهم وأصولهم وأنسابهم، فهو على ذلك ديوانهم، يقول أبو هلال العسكري: (كذلك لا تعرف أنساب العرب وتواريخها وأيامها ووقائعها إلا من جملة أشعارها، فالشعر ديوان العرب وخزانة حكمتها، ومستنبط آدابها ومستودع علومها[1].

فهمْ لذلك إذا اعتزوا بمكرمة أو نصر أو حادث سجلوا ذلك في قصيدة، فهي أبقى على الدهر من كلّ عملٍ وأخلد من كل أثرٍ، وهذه سنة العرب في تخليد مآثرهم وفي الحيوان للجاحظ : "فكل أمةٍ تعتمد على استيفاء مآثرها وتحصين مناقبها على ضرب من الضروب وشكل من الأشكال، وكانت العرب في جاهليتها تحتال في تخليدها بأنْ تعتمد في ذلك على الشعر الموزون والكلام المقفى، وكان ذلك هو ديوانها"[2].

وكذلك ذهب ابن سلام حيث يقول:(وكان الشّعر في الجاهلية ديوان علمهم ومنتهى حكمهم به يأخذون وإليه يصيرون...). قال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه."[3]

فالشّعر على ذلك من أبرز وأوضح المظاهر الأدبية، لأنه كان بلورة وتمثيلاً للروح العربية وتعبيراً عنها والصفحة الواضحة التي أفصحت عن الحياة الجاهلية بكل مظاهرها، وبخاصة تلك المظاهر الكبرى التي كانت موضع عنايتهم، ثمّ هو إلى ذلك العمدة التاريخية لتسجيل الأحداث وتصوير المواطن[4].

---

(1) أبو هلال العسكري، الحسن بن عبدالله بن سهل العسكري، الصناعتين (الكتابة والشعر)، تحقيق علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الإحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، ط1، 1952م :138.

(2) الجاحظ، الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط1، 1384هـ، ج1، :71،72.

(3) ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء: 22.

(4) الجبوري، يحيى الجبوري، الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، مؤسسة الرسالة :130.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

كَمَاْ نَجدُ الشّعر عند العرب هو أجمل الفنون التي يحتفون بها ويمجدونها ،وكانتْ له أسواق خاصة به مثل: "سوق عكاظ، ومجنَّه، وذو المجاز، وغيرها".

وَيُعدّ الشعرُ أعْلى منزلة عند العرب، وَبه يحكم على القبيلة، وهو الذي يرفع من شأنها، ويمجدها ويصنع تاريخها، ويحمي عرضها، ويصور لنا حياة العرب، وعاداتهم وأخلاقهم بصورة واضحة، يقول عنه محمد عثمان علي : "كان الشعراء إزاء هذه المكانة يدافعون عن القبيلة، ويعددون مآثرها ،ويرثون صرعى حروبها، وقد يقومون بنصحها وإرشادها حرصاً على مكانتها وعزها بين القبائل الأخرى[1]".

فللشّعر النصيب الأوفى في توحيد مشاعر العرب و تشابه طباعهم وعاداتهم ومثلهم، وصقل لغتهم ووحد لهجاتهم. كذلك وعلى الرغم ممّا كان يحدث بين القبائل من خصومات وغزوات كثيرة، فإنّ ذهنية العرب متجاوبة، وهم يلتقون عند مثل مشتركة، مثل عليا تقوم على الشرف والمروءة، وما كان ذلك ليكون لولا انتشار القصائد وصيرورتها بسرعة غريبة عجيبة، فهي ما تكاد تلقي من فم قائلها حتى تسير بها الرواة وتنشدها المجالس، وحقاً قالوا في أمثالهم :" أسير من الشعر". قال "الميداني" في تفسير هذا المثل : " لأنه يرد الأندية، ويلج الأخبية سائراً في البلاد، مسافراً بغير زاد"[2]. قال الشاعر:

فَلَأهدينَ مَعَ الرِّيَاحِ قَصِيْدَةً ... مِنِّيْ مُغَلْغَلَةً إِلىْ الْقَعْقَاْعِ

تَردُّ المياه فماْ تزالُ غَريبةً ... فِيْ القومِ بينَ تَمَثُّلٍ وَسَمَاْعِ[3]

والأمثلةُ كثيرةٌ في أثر الشّعر في نفوس العرب، وسلطانه عليهم، فرب بيت يقوله شاعر يرفع به قدر وضيع أو يضع قدر رفيع، ويصدق هنا قول الحصري القيرواني في

(1) محمد عثمان علي، في أدب ما قبل الإسلام، :49.

(2) الميداني، مجمع الأمثال ج1: 354.

(3) المفضل الضبي، المفضل بن محمد بن يعلي بن سالم الضبي، المفضليات، تحقيق أحمد محمد شاكر، عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، ط6،

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

أثر الشعر ومكانته : " وقد بنى الشعر لقوم بيوتاً شريفة، وهدم لآخرين أبنية منيفة"[1] حيث قال الشاعر في ذلك :

وَمَاْ هوَ إلا القول يسري فتغتديْ لــهُ غُــرر في أوجــهٍ ومواســمِ

إذاً يُعدّ الشّعر ديوان العرب في تلك الفترة وسجل تاريخهم وحياتهم، حيث يدافع عن القبيلة و يسجل بطولاتها و أمجادها و يهدي ساداتها إلى الطريق الصحيح في الحرب و السلم، ويرفع مكانتها بين القبائل حيث يعد الشعر فناً من الفنون الرائعة التي ظلت تصور لنا حياتهم في تلك الفترة .

يلحظُ الباحثان أنَّ الشّعرَ في العصر الجاهلي كان وسيلة الإعلام الوحيدة بين القبائل ينشر أمجادها، ويشيد بأحسابها، ويسجل للأجيال مفاخرها . فكانت أهمية الشعر كبيرة آنذاك، وكانت منزلته عظيمة جداً لدى الجاهليين الذين كانوا يقومون بمناظرات شعرية في الأسواق الأدبية و يعلقون القصائد المختارة الممتازة المكتوبة بالذهب في الكعبة المشرفة لروعتها وجودتها. فكانت خصائص الشعر في هذا العصر منفردة ومتنوعة كما نجد موضوعات مختلفة للشعر الجاهلي حسب العادات والتقاليد عند العرب.

فالشِّعر العربي منذ البداية في عصر الجاهلية كان يعبر عن عواطف الشعراء وينم على أحاسيسهم والشَّاعر العربي كان يتغنى بعواطفه وما يحسه داخل نفسه نحو الحياة والأحياء من فرح وحب أو غضب أو رثاء وثكل، فهو شعر غنائي من حيث وظيفته تلك وأيضاً من حيث إن الناس في العصر الجاهلي كانوا يجتمعون له وآذانهم مرهفة وقلوبهم مستحية، لما فيه من طرب وإيقاع . وكانت القبيلة إذا نبغ منها الشاعر تدق الطبول، وتستقبل المهنئين والمهنئات، وكان معظم شعراء الجاهلية سادة في قبائلهم[2].

(1) الحصري القيرواني، إبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري، زهر الآداب وثمر الألباب،دار الجيل، بيروت ،ج1 ، :22.

(2) شاه عبد الكريم، منزلة الشعر في الجاهلية، جامعة العلامة إقبال المفتوحة، إسلام أباد، 2000م، : 22.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

وذكر" ابن رشيق" في كتابه "العمدة" : "أنَّ القبيلةَ من العرب كانت إذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها وصنعت الأطعمة واجتمعت النساء يلعبن بالمزاهر وكان البيت من الشّعر ربما رفع قبيلة وخفض أخرى[1]".

كذلك امتاز الشُّعراء بالأفق الواسع والإلمام الكلي أو الجزئي بتراث الأمة التي يعايشونها أو يتعاملون معها، فكانوا بذلك أهلاً للعلم والمعرفة، بما تتطلبه ظروف بيئتهم وكان شعرهم تبعاً لذلك سجلاً لأخلاق العرب وديانـاتهم وعاداتهم وتقاليدهم وعنواناً على تطور عقلياتهم وديواناً لأيام السلم والحرب في تاريخهم وزاداً سخياً وعطاءً خصيباً لمجتمعهم روته الأجيال جيلاً بعد جيل، وتخرج عليه الأدباء فريقاً بعد فريق، حتى بلغ من إعجاب الأقدمين به أنْ صنَّفوهُ إلى معلقات ومسمّطات[2] وأحكام النقاد، بالتكامل الفني، والشمول الموضوعي[3]، على أنَّه وُجد من النقاد من يرون أنَّ الشعر الجاهلي غير متنوع الموضوعات، ولا غزير المعاني، ويضيفون بأنَّ ما رُوي لنا من القصائد موسيقاه واحدة يوقع على نغمة واحدة والتشابه والاستعارات تتكرر غالباً في أكثر القصائد قلة في الابتكار، وقلة في التنوع، لقد كانت موضوعاته عندهم محدودة ضيقة كما كانت ظلاً لحياة الصَّحراء، وصورةً صادقة لعيشه البداوة، وهي في مجموعها لا تتعدى الفخر والحماسة والمدح والرثاء والعتاب والغزل، والتشبيب وغيرها من الأغراض التي اصطلح عليها مؤخراً بالشعر الغنائي أو الموسيقي،ويرى هؤلاء بأن الشاعر مهما سمت مكانته الأدبية، كان ظلاً لمجتمعه انزوت شخصيته في قبيلته، واندمجت ذاتيته في ذاتية قومه فلا تكاد تحس بوجوده، بل لا يكاد هو نفسه يحس لذاتيته بكينونة مستقلة[4].

---

(1) سلامة محمد أحمد، الشعر والغناء عند العرب، المنهل العدد 442، مج، 47، دار الأصفهاني، جدة، 1986م،: 75.

(2) ضيف،شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، ج1، : 134.

(3) الشكعة، مصطفى الشكعة، معالم الحضارة الإسلامية، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، 1975: 23.

(4) حسن إبراهيم حسن، فجر الإسلام، ص: 69.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

ولكنْ بالرغم من كل ذلك لا تجد من لا ينكر المكانة السامية التي نالها الشعراء في مجتمعهم والتقدير الأدبي الذي حظوا به في حياتهم وبعد مماتهم .

حيث أن الناس بنبراس شعره يهتدون وإلى شعره ورأيه في مشاكل الأقضية ومعضلات الأمور كانوا يلجئون، وكانت بذلك كلمته فوق كل كلمة، وقوله أَمضى من كل سنان بل إنه كان أحياناً أعظم سلطاناً من رئيس القبيلة نفسها، إذ ربما رفع الشاعر بالبيت الواحد عز القبيلة أو يهدمه.

وكانتْ كلُّ قبيلة تحرصُ على أنْ يكونَ لها شاعرٌ، مع القائد، والخطيب، وكانوا يحتفون بالشاعر، فتقام له الأعياد وتبسط لنبوغه الولائم، وتتوافد إلى قبيلته بقية القبائل تهنئها بمن سيقودها بأقواله، وينضح عن شرفها بأشعاره، ويخلد مآثرها بأبياته، وكانت النساء تشارك الرجال طربهم بنبوغ الشاعر، فيجتمعن يلعبن بالمزاهر احتفاء بيوم عيده في القبيلة[1].

وكانَ لكلّ شاعر راويةٌ يلازمه ملازمة التلميذ لمعلمه، ينهجُ طريقهُ، وينشرُ شعرهُ، وقد رووا في هذا الصدد أن كبار المشهورين من الشعراء قضوا عهد تثقفهم بملازمة معلميهم من الشعراء الأوائل، فكان امرؤ القيس راوية لأبي داود الإيادي وزهير بن أبي سلمى راوية لأوس بن حجر، والأعشى راوية للمسيب علس[2].

وأشهر المجموعات التي وصلتنا مما نسب إلى الجاهليين عدا دواوين الشعراء : المعلقات السبع، والمفضليات، وديوان الحماسة، وحماسة البحتري، والأغاني، والشعر والشعراء، ومختارات ابن الشجري، وجمهرة أنساب العرب، وهي في مجموعها لا يتجاوز تاريخها المائة وخمسين عاماً قبل البعثة، كما أن مجموع الشعراء المعروفين لا يتعدون المائة وخمسة وعشرين شاعراً، صنفوا تصنيفات كثيرة كان من بينها :

1. أصحابُ المعلقاتِ وعددهم عشرة.
2. الشُّعراءُ الأمراء، وعددهم أربعة عشر.

---

(1) حسن الشيخ الفاتح الشيخ قريب الله، ، النظم والمظاهر الحضارية عند العرب، دار الجيل بيروت: 24.

(2) حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي: 53.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

3. الشُّعراءُ الفرسان، وعددهم ثمانية عشر.

4. الشُّعراءُ الحكماء، وعددهم أربعة.

5. الشُّعراءُ العشاق، وعددهم ثمانية .

6. الشُّعراءُ الصعاليك، وعددهم سبعة.

7. الشُّعراءُ المغنون، وعددهم واحد.

9. النّساءُ الشَّواعر، وعددهن أربع.

10. الهجَّآءون، وعددهم أربعة.

11. الوصافون للخيلِ، وعددهم أربعة.

13. الواليْ، وعددهم واحد.

14. سائرُ الشُّعراء وعددهم ستة وثلاثون[1].

وكما أعزَّ الرَّجل العربي المرأة وأحبها وقدم القصيد بذكرها وجزع على هجرها أو ظعنها، ووقف على أطلالها يندب شعره ويبكي حظه، ويتذكر ماضية السعيد. حيث أنه خاطب المرأة فخوراً بشجاعته وكرمه وعالي مقامه، و أشهدها على حسن بلائه ومحامده .

قال عبد يغوث الحميري* من ذلك:

وقدْ علمتُ عِرسِيْ مُليْكهُ أنَّنيْ ... أَنَـا الليـثُ مَعـدوًّا علـيّ وعـاديَا

وَقدْ كنتُ نَحَّارَ الجذورِ ومعمل الـ ... مطى وأمضيْ حيث لا حي ماضيَا

وأنحـرُ للشربِ الكـرامِ مطيتيْ ... وَأصـرعُ بـينَ القينـتين ردائيَـا

وَكُنتُ إذَا مَا الخيلُ شمعَّها القنا ... لبيقاً بتصريفِ القنـاةِ بنانيَا[2]

(1) جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، تحقيق شوقي ضيف، دار الهلال، ط1، ج1: 88.

* . عبد يغوث بن صلاءة من بني الحارث بن كعب من كهلان . كان فارساً سيداً لقومه، أخباره في الأغاني ج15، 73. والكامل لابن الأثير، جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، ج1، : 122.

(2) المفضل الضبي، المفضليات ج1 : 156 . ❖عرس : زوجتي.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

كما أشهد الشاعر الجاهلي زوجه على شجاعته مهاجماً، وعلى كرمه وعلى جده في الرحلة والغارة وقطع القفار التي لم تطئها قدم. وعلى أنَّه ينادم الكرام على الشراب، وينحر لهم مطيته إذا لم يجد غيرها، وعلى أنه يتخذ مجلساً بين المغنين فإذا تملكه الطرب شقَّ رداءه... ولقد يشركها معه في كرمه كما قال حاتم* لزوجه:

إذَاْ مَاْ صَنَعْتِ الزادَ فالتمسيْ لَهُ ... أَكِيْلَاً فإنِّيْ لستُ آكلهُ وَحْدِيْ

إذَاْ طَارِقَاً أوْ جارَ بيتٍ، فإنَّنيْ ... أخافُ مذماتَ الأحاديثِ منْ بعديْ

وَإنِّيْ لعبدُ الضَّيْفَ مادامَ ثَاوِياً ... وَمَاْ فِيَّ إلَّا تلكَ منْ شيمةِ العبدِ[1]

في البيت الثاني يجد الباحثان أنّ الشاعر أبدع في وصفه لاستخدام الكناية في صدر البيت، التي تدل على تواضعه وكرمه.

وقد شاركت المرأة الرجل الحروب وكذلك في السلام مما يؤكد أن المرأة كانت ذات مكانه في الجاهلية وأن التاريخ يحدثنا بنساء اشتهرت بالشجاعة حتي كن يشاركن في الحرب مشاركة فعلية، فقريش قادت قبيلة طي في غزواتها[2].

وفي معركة أُحد سقط لواء قريش في ساحة القتال ولم يزل صريعاً حتى رفعته عمرة بنت علقمة الحارثية فلاذوا بها وقاتلوا، وفيها يقول حسان بن ثابت:

فلـــولا الحارثيـــةُ أصـــبحواْ ... يباعونَ في الأسواقِ بيعَ الجلائبِ

وقد كانت هند بنت عتبه تحرض مشركي قريش يوم أحد بقولها[3]:

نَحـــنُّ بنـــاتُ طـــارقِ ... نمـــشيْ علـــى النمـــارقِ

إنْ تقبـــلوا نعـــانق ... ونفـــرشُ النمـــارقَ

أوْ تدبـــروا نفـــارقُ ... فـــراقٌ غـــيرَ وامـــقِ*

---

* ـ حاتم بن عبد الله من قبيلة طي ويكنى أبا سفانة، وهو من أجود العرب وله أخبار في السخاء مشهورة حتى جرى ذكره مجرى الأمثال، له ديوان شعر مطبوع في لندن سنة 1872م، بعناية المرحوم رزق الله حسن وطبع أيضاً في بيروت، وأخباره منثورة في الأغاني ج16، ص: 96. والمستطرف، ج1، ص:137، جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، ج1، : 127.

(1) حاتم الطائي، ديوان حاتم الطائي، دار صادر، بيروت، ط1، 1981م : 9.

(2) أبو هلال العسكري، جمهرة الأمثال، تحقيق أحمد عبدالسلام، دار الكتب العلمية، ط1، 1988م : 74.

(3) محمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، أدب الكاتب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2003م، : 73.

* ـ قالت هذه الأبيات في وقعة أحد ومعها بعض النسوة يمثلن يقتلن المسلمين ويخدعن آذانهم وأنوفهم وتجعلها هند قلائد وخلاخل، وترتجز في تحريض المشركين، والنساء من حولها يضربن الدفوف.، ابن قتيبة، أدب الكاتب، ص: 74.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

ومن النساء اللواتي لهنَّ أثرٌ في الحياة الجاهلية:

بُهيسة بنت أوس الطائي التي رفضت أن يدخل بها زوجها الحارث بن عوف قبل أنْ يصلح بين عبس وذبيان فتحمل هو وهرم بن سنان من ديات القتلي ما يزيد على ثلاثة الآف بعير[1].

وكانَ الرجلُ يتزوجُ المرأةَ برضا أهلها، ولم يكن لها أن تنفرد بالأمر دونهم؛ وهذا هو النظام الذي شاع عندهم،وكانت الفتيات يستشرن كما هو معروف عندهم.

أَمّا اتصالُ الرجل بالمرأة بطرق أخرى، فقد كان مقصوراً على الساقطات وذوات المجانة من الشبان، وقد سموهن صاحبات الرايات، لأنهن كن ينصبن على أبوابهن رايات لتدل عليهن وسموهن أيضاً المظلمات لأن الفتيان كانوا يتسللون إليهن في جنح الظلام.

وكانوا يستولدون السبايا، ولكن لا يلحق الولد بأبيه إلّا إذا ادعاه، ولذا كان من مفاخر الرجل أنَّ أمه حرة نسبية لا سبية. فإذا كانت أمه أمَةً افتخر بما يعوض نقصه، فمثلاً كانت أم عنترة حبشية سوداء فأكثر من المفاخر بشجاعته، بدلاً من مفاخره بأمه وأقواله في مجال الفخر بأبيه:

إنّي امرؤٌ من خيرِ عبسٍ منصِباً ... شطري، وأحميْ سائريْ بالمنصلِ[2]

لله درُّبَنِي عبس لقد تعوا ... من الأكارمِ ما قدْ تنسل العربِ

لئن يعيبوا سوادي فهو لي نسبٌ ... يوم النزال إذًا ما فاتني النَّسبِ[3]

وكان العرب كثيري الطلاق فقد طلق الأعشى زوجته، وإمّا لأنها لا تعجبه، وأمّا لأنَّ قومها هددوه بالضرب إنْ لم يطلقها؛ قال:

فبينيْ حصان الفرج غيرَ دميمة ... وموموقه فينا كذلكَ وواموقةُ

ودومت فتي قوم فإني ذائق ... فتالة اناس مثل ما أنتَ زائقةُ

---

(1) أبو فرج الأصفهاني، الأغاني، ج3 مصدر سابق، ص 142.

(2) . عنترة بن شداد، ديوان عنترة، تحقيق محمد سعيد مولوي، الرياض،عالم الكتب،ط1996،3م ج2 ص 119. ❖ المنصب: الأصل، ❖ المنصل: السيف

(3) المصدر السابق : 10.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

لقد كان في فتيان قومك منكح ... وشبان هزان الطوال الغرانقةُ

وما ذاكَ عندي أنْ تكوني دنئه ... ولا أنْ تكوني جنت عندي ببائقةُ

ويا جارتا بيني فإنك طالقة ... كذلك أمور الناس غادو طارقةُ [1]

وكانَ الطلاقُ نظاماً عاماً عند العرب، واليهود، واليونان، والرومان وقد أباحه الإسلام وإن ضيّق من دائرته. [2].

وكانت من عاداتهم تعدد الزوجات حيث أنهم لم يكن لهم عدد ينتهون إليه. فقد ورد في الصحيح أن غيلان الثقفي أسلم وتحته عشر نساء.

وكانوا يربون أبناءهم على البطولة والشجاعة وأرادوا أن يوحوا إليهم بالقوة والشدة فتخيروا لهم أسماء فيها قوة ورهبة مثل: أسد وثور وفهد وضمر [3].

وقد وأد بعض العرب البنات وأسباب القتل منها: الغيرة على المرأة، ومخافة العار إذا سبيت.

ومنْهم من كان يئد البنات من كانت زرقاء شيماء (بها علامة قبيحة) أو يرشاء (بها نقط بيض، أو كسحاء (قعيدة) تشاؤماً، وكان يفعل ذلك قليل. [4]

ومنْهم من كان يئد خشية الإنفاق وخوف الفقر وفيهم نزل قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴾ [5].

ومنْهم من زعم أنَّ الملائكة بنات الله سبحانه وتعالى عما يقولون . فألحقوا الإناث به لأنه أولى بهن ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴾ [6] وقد أبطل الإسلام هذه العادة، وسفه الذين يحزنون إذا رُزقوا بنتاً كما بينت للوائدين مخشاة الفقر . أنه هو الرازق وقال تعالى: ﴿ ۞ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ

---

(1) أبو فرج الأصفهاني، الأغاني ج8 :80. ❖ هزان قبيلة الزوجة.

(2) أحمد خاكي ، المرأة في مختلف العصور، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1947م : 85 – 86.

(3) المصدر السابق ص 82 – 85.

(4) الألوسي، محمود شكري الألوسي البغدادي،بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، تحقيق محمد بهجت الأثري،دار الكتب المصرية، ج4 : 41 – 56 .

(5) سورة الإسراء الآية 31.

(6) سورة النحل الآية : 57.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (1).

لكن الكثرة الكثيرة لم تئدْ، بدليل بقاء النساء يلدن، وبدليل حب الشعراء والرجال للمرأة وفخارهم بها قال حسان بن الغدير:

رئيتُ رجالاً يكرهونَ بناتهم وهنَّ البواكي والجيوب النواصحُ (2)

أمَّا المرأةُ فهي أهم نواة تشكل المجتمع الجاهلي حيث يقال لها الشعر من الحب والغزل بها أو سبب قطع الوصل و الهجران ومن أجلها تقوم الحروب و الغارات بين القبائل، و يكفي أن القصيدة الجاهلية كانت تبدأ بذكرها في شكل تقليدي بالبكاء على الأطلال . بل كان الشاعر الجاهلي يشهد المرأة على شجاعته و حسن خلقه، قال عنترة بن شداد :

أثنيْ عليَّ بما علمتِ فإنَّنيْ سَمْحٌ مخالقتيْ إذَا لمْ اظلمِ

فإذَا ظلمتُ فإنَّ ظلميَ باسلٌ مرٌّ مَزَاقتهُ كطعمِ العلقمِ (3)

يخبرُ الشاعر هنا محبوبته بأخلاقه السمحة بين الناس إذا لم يظلم، و إذا ظلم فإن ظلمه مر كطعم الحنظل، وفي البيت تشبيه مرسل لأنَّه استخدم الأداة .

هذه المكانة الّتي أعطاها الشاعر لمحبوبة توضح بأنّ المرأة لها مكانة في المجتمع الجاهلي و على الرغم من هذه المكانة إلا أنها كانت أيضاً مصدر تشاؤم، و كان المجتمع يكره ولادتها، فمنهم من كان يدفنها و هي حية حتي تموت تحت التراب، ومنهم من يتركها في حياة الذل و المهانة كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ

(1) سورة الأنعام الآية (151).

(2) الآمدي، أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي،المؤلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض أشعارهم، دار الجيل، بيروت، ط1، 1999م : 164 ❖ الجيوب النواصح : القلوب المحلصة.

(3) عنترة بن شداد، ديوان عنترة : 103.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ [1]، ﴿ يَتَوَارَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [2]: وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴾ [3] والموءودة هي البنت تدفن حية حتى تموت تحت التراب، و إذا سلمت من الوأد فعاشت فإنها تعيش عيشة المهانة فليس لها حظ في الميراث مهما كثرت الأموال أو عانت من الفقر و الحاجة ، بينما كانت حياة العرب الدينية في تلك الفترة كان الغالب عليها عبادة الأصنام و الأوثان مثل اللات و العزى و مناة و غيرها . وكانوا يقسمون بهذه الأصنام يقول أوس بن حجر يقسم باللات و العزى يقول :

وباللاتِ والعزي ومنْ دانَ دينهاْ وباللهِ إنَّ اللهَ منهنَّ أكبرُ [4]

يقسمُ باللات والعزي ومن أعتنق هذه الأصنام كما يقسم بالله، هذا يبين الديانات التي كانت سائدة في تلك الفترة، وعلى الرغم من وجود اليهودية و المسيحية في بقية أجزاء الجزيرة العربية لكن كانت هنالك دلالات و إشارات دينية تدل على التوحيد، وبعض المعاني الدينية الصحيحة قال زهير بن أبي سلمي :

ألاْ أبلغَ الأحلافَ عنّيْ رسالةً وذبيانَ هلْ أقسمتمْ كلَّ مقسمِ
فلاْ تَكتمُنَّ اللهَ ما فيْ نُفوسكمْ ليَخفَى ومهما يكتم اللهُ يعلمِ
يؤخَّر فيوضعْ في كتاب فيدخر ليوم حساب أو يعجل فينقمِ
وما الحربُ إلّاْ مَاْ علمتمُ وذقتمُ وما هوَ عنْهَاْ بالحديثِ المرجمِ [5]

يُرْسلُ الشاعر رسالة إلى النَّاس جميعهم يقول لهم بأنكم أقسمتم بالآلهة التي تعبدونها من دون الله و الله يعلم ما تفعلون، فيؤخر عقابكم إلى يوم الحساب أو يستعجل لكم العذاب فينتقم منكم .هذه الأبيات توضح إيمان الشاعر بالله تبارك

(1) سورة النحل من الآية :58
(2) سورة النحل الآية: 59
(3) التكوير الآية : 8
(4) محمد عثمان علي، في أدب ما قبل الإسلام، مرجع سابق::51
(5) زهير ابن سلمي، ديوان زهير، بيروت، دار بيروت : 89.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

وتعالى و يوم الحساب و كل ما يفعله الإنسان يحاسب عليه في الدنيا أو الآخرة، وفي البيت الأخير استعارة مكنية فيها ما فيها من الروعة وما زادها روعة واو العطف الذي يصحبها.

ويخلصُ الباحثان إلىْ أنّ الظواهرَ الاجتماعية والفكرية التي صاغتها البيئة الطبيعية لبلاد العرب في إطارها المناسب كظاهرة الكرم، والفروسية، وحماية الظعائن، والمرأة والمحافظة على النسب والشرف، وإغاثة الملهوف، ونصرة الضعيف،وذم البخل واللؤم والجبن والفرار وغيرها كانت من العادات المألوفة عند البدوي.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

المبحث الثاني

أثر الإسلام على الحياة الاجتماعية والأدبية في صدر الإسلام:

تدلُّ كلمةُ الإسلام باشتقاقها اللغوي على معنى الخضوع والانقياد، وقد ترددت في القرآن الكريم بهذا المعنى في مثل :(**وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ**)[1]، (**وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ**)[2]. ومن ثم أطلقت علماً على ديننا الحنيف في قوله تبارك وتعالى:(**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً**)[3].

فالدينُ الإسلامي دينُ السعادة للنَّاس كافة، دين يكمل الديانات السماوية السابقة. ويسيطر على كل ما جاء به الرسل، يقول جل شأنه:(**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا**)[4]. ويقول الله سبحانه وتعالى :(**شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ**)[5]، (**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ**)[6]ويقول تعالى : ﴿ **وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ** ﴾[7].

فالإسلام هو الشريعة الإلهية الأخيرة الّتي تفرض سلطانها على كل ما سبقها من شرائع سماوية. وهو يقوم على ركنين أساسيين هما: العقيدة والعمل. وتسمى العقيدة بالإيمان من الأمن بمعنى طمأنينة النفس وتصديقها بما جاء به الرسول ﷺ . وأهمُّ أصلٍ

---

(1) سورة الزمر الآية 24

(2) سورة النمل من الآية 91

(3) سورة المائدة الآية 3 .

(4) سورة سبأ الآية: 28

(5) سورة الشورى من الآية 13

(6) سورة الفتح من الآية 23

(7) سورة المائدة من الآية 48

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

في العقيدة الإسلامية الإيمان بوحدانية الله يقول سبحانه وتعالى: (**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ**) [1].

فالإسْـلَامُ جعـلَ العبوديـة للّه سـبحانه وتعـالى وحـده وأبطـل مـا كـان في حيـاة الجاهليـة، وجعـل الـولاء للّه تعـالى قـال تعـالى: (**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**) [2]. (**لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**) [3].

قضى الإسلام علي الوثنية الجاهلية بكل ما طُويَ فيها من كهانه وسحر وشعوذة وخرافة، وبذلك ارتقى بعقل الإنسان إذْ خلصه من الحماقات والترهات وقد مضى يحتكم إليه في معرفة الخالق الذي أنشأ الكون ودبر نظامه داعياً إيَّاه أنْ يتأمل في ملكوت السماوات والأرض [4].

ودائماً يدعو القرآنُ كلَّ مسلمٍ أن يستغل عقله فيما خُلق له من تدبر إذ الإسلام الصحيح يقوم على الفهم والإقناع لا على التقليد والمحاكاة للآباء و الأسلاف [5].

ويشير القرآن مراراً إلى فضيلة العقل، وأنَّ اللّه أودع في هذه الفصيلة خواصاً تمكنه من السيطرة على جميع المخلوقات؛ يقول جلَّ شأنه: (**اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** [6]).

فالقرآنُ الكريم يخْبرنَاْ بأنَّ كلّ ما في الوجود مسخر للإنسان ومن نعم اللّه عليه أنْ ميزهُ بخاصية العقل ليتميز بها عن سائر الحيوان، ومهمة العقل إدراك المعلومات وتحليلها وإصدار الأحكام بشأنها إمّا تحسيناً أو تقبيحاً، ليترك للإنسان الاختيار،

---

(1) سورة الإخلاص الآيات 1- 4

(2) سورة الشورى من الآية 11

(3) سورة الأنعام الآية 103

(4) ضيف، شوقي ضيف تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي، دار المعارف، القاهرة ، ط19 :13.

(5) المصدر السابق،16.

(6) سورة الجاثية الآياتان 12- 13

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

وهذه المعلومات إنما تأتي للعقل عن طريق الحواس الخمس، فالعين تأتيها بالمبصرات، والأذن بالمسموعات والأنف بالمشمومات واللسان بالمذوقات واليد بالملموسات، وما على العقل إلا أنْ يحلل هذه المعلومات ويتفحصها بناء على ما لديه من علوم فطرية وخبرات سابقة اكتسبها بالتراكم[1]، وقد قال تعالى: (**وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**)[2].

فالعقلُ البشري في حاجة ضرورية لمصدر آخر للمعرفة غير الحواس، لتكتمل له المعرفة بالوجود، فكانت رحمة الله تعالى بالبشرية هذه الرسالات المتعاقبة، فجاء الدين ليخبرنا عن مخلوقات تشاركنا الوجود ما كان لنا أن نعرفها لولا الدين ومعرفتها نافعة لنا، مثل الملائكة والشياطين، فالمَلَكُ رمز الخير والشيطان رمز الشر والمطلوب منا التشبيه بالأول دون الثاني.[3]

والإسلام يدعو إلى العلم والمعرفة؛ وأن أول ما نزل على الرسول ﷺ قوله تعالى: (**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ**[4]) ودائماً تتردد فيه الإشادة بالعلم والعلماء في مثل قوله تعالى (**وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا..**)[5] (**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**[6]) وقال تعالى:(**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ**[7].

وفي كل هذه الآيات وغيرها يظهر أثر الإسلام في أهمية التعلم[8]. وقد رويت عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أحاديث كثيرة تحثُ على العلم والتعلم منها قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "طلب العلم فريضة على كل مسلم[9]". وقوله : "ومن

---

(1) مصطفى عبد الرازق، تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية، مكتبة المدينة، دار المعارف، ط1، 1972م: 134.

(2) البقرة الآية :31.

(3) عثمان علي حسن، الدين وأثره في حفظ المجتمع،سلسلة التنوير جامعة أفريقيا، :41:42.

(4) أ سورة العلق، الآية 1

(5) سورة طه من الآية 114

(6) سورة فاطر من الآية 28

(7) سورة الزمر من الآية 9

(8) ضيف، شوقي ضيف، العصر الإسلامي مصدر سابق،: 17، 18.

(9) سنن ابن ماجة، الأرنوط (224/151/1).

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى طرق الجنة [1]" وقوله صلى الله عليه وسلم: (العلماء ورثة الأنبياء[2]).

قيم اجتماعية:

كان العرب يعيشون في الجاهلية قبائل متناثرة لا يعرفون فكرة الأمة إنما يعرفون فكرة القبيلة وما يربط بين أبنائها من نسب وكانت كل قبيلة تتعصب لأفرادها تعصباً شديداً. فإذا جنى أحدهم جناية تشركهم في مسؤوليتها وإذا قتل لها أحد أبنائها هبت للأخذ بثأره.

فلما جاء الإسلام أخذ يُضعف من شأن القبيلة ويحل محلها فكرة الأمة يقول جلَّ شأنه (**إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ**)[3]. (**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ**)[4].

ويرىْ الباحثان أنَّ الإسلامَ كانَ لهُ الأثرُ الفياض في ربط العرب وجعلهم أمة يسودها الخير والنماء لذا أصبحت الرابطة الدينية لا الرابطة القبلية هي التي توحد بين الناس.

وأخذَ الإسلام يُرسيْ القواعد الاجتماعية لهذه الأمة بحيثُ تكون أمة مثالية يتعاون أفرادها على الخير آمرين بالمعروف وناهين عن المنكر يسودهم البر والتعاطي حتى لكأنهم أسرة واحدة تساوت بين أفرادها كل الفوارق القبلية والجنسية وأيضاً فوارق الشرف والسيادة الجاهلية . فالناس جميعاً سواء في الصلاة وجميع المناسك وفي الحقوق والواجبات[5].

---

(1) سنن ابن ماجة (223/181).

(2) سنن ابن ماجة (223 /81/1).

(3) سورة الأنبياء الآية 92

(4) سورة آل عمران من الآية 114

(5) الجاحظ، البيان والتبين ج2: 33.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

وقدْ نظمَ الإسلام حقوق المرأة ورعاها خير رعاية، إذْ كانت مهضومة الحقوق في الجاهلية فرد إليها حقوقها وجعلها مكرمة، لها مالها من الحقوق والواجبات يقول الله تعالى (**وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ**)[1] وأيضاً لهن مثل ما للرجال من السعي في الأرض والعمل والتجارة، يقول عزّ شأنه (**لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُواْ وَلِلنِّسَاء نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ**)[2].

وكان كثير من غلاظ القلوب يئدون بناتهم خشية العار فحرم ذلك القرآن. يقول جلَّ شأنه (**وَيَجْعَلُونَ لِلّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ (57) وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ (58) يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلاَ سَاء مَا يَحْكُمُونَ** (59)[3].

ومن الأشياء التي أبطلها الإسلام ظاهرة انتشار البغاء قال الحق سبحانه وتعالى: (**وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحاً حَتَّى يُغْنِيَهُمْ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْراً وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاء إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**[4]) قال الإمام الشعراوي ـ رحمه الله تعالى ـ في تفسير هذه الآية : (البغاء) ظاهرة جاء الإسلام فوجدها منتشرة فكان الرجل الذي يملك مجموعة من الإماء ينصب لهن راية تدل عليهن، ويأتيهن الشباب ويقبض هو الثمن ومن هؤلاء عبد الله بن سلول رأس النفاق وفيه نزلت هذه الآية فأبطل الإسلام هذه العادة[5].

---

(1) سورة البقرة من الآية 222

(2) سورة النساء من الآية 32

(3) النحل الآية 57:59.

(4) سورة النور، الآية : 32.

(5) محمد متولي الشعراوي، السيرة النبوية، المكتبة التوفيقية، القاهرة:35.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

ونظم الزواج وهو فريضة محببة إلى الله ونعمة من نعمه قال تعالى :﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (1). ويقول الرسول ﷺ في حجة الوداع "أيها الناس إنَّ لنسائكم عليكم حقاً، ولكم عليهن حق، لكم عليهن أن لا يوطئن فُرشكم غيركم وأن لا يُدخلن أحداً تكرهونه بيوتكم إلا بإذنكم ولا يأتين بفاحشة مبينة فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تعضلوهن وتهجروهن في المضاجع وتضربوهن ضرباً غير مبرح فإن انتهين وأطعنكم فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف، وإنما النساء عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئاً أخذتموهن بأمانة الله ... فاتقوا الله في النساء واستوصوا بهن خيراً"(2).

فالإسلام إذن قد قلب العقلية العربية قلباً، وشن على الجاهلية حرباً، ورسم للمجتمع مثلاً على أن لا يخالف ما ألفوه، ويناقض ما عرفوه .

فالشجاعة، والشهامة، والكرم المفضي إلى السرف والتلف، والتفاني في الإخلاص للقبلية والقسوة في الانتقام، والثأر ممن تعدى على النفس أو على الأهل بالقول أو بالفعل، هي أصول الفضائل عند الجاهلية، أمّا الإسلام فقد جعل المثل الأعلى للإنسان الخضوع لله تعالى والانقياد لأمره، والقناعة والتواضع، ومجانبة التكاثر والتفاخر، ثمّ الصبر وقد قال الله تعالى:﴿أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (3).

وقد قال الرسول (ﷺ) في خطبة الوداع:(إنّ الله تعالى قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وفخرها بالآباء. كلكم لآدم وآدم من تراب، ليس لعربي على أعجمي فضلٌ إلا بالتقوى) . فماتت بذلك العصبية القومية والجنسية وأصبحت السيادة للدين لا للنسب والإخاء في الله لا في الغضب.

---

(1) سورة الروم الآية 21

(2) محمد متولي الشعراوي، السيرة النبوية:39.

(3) الحجرات الآية 13.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

وأصبحَ القرآنُ الكريم والحديث الشريف دستور الأمة، يسنان الشرائع ويرسمان الآداب، ويهذبان الأخلاق ويقرّان في القلوب المشركة المجرمة كلمة التوحيد وحقيقة البر، ويضيفان نظماً جديدة للأسرة والأمة تغاير ما كان عليه العرب من قبل وتساير ما سيكونون عليه من بعد[1].

وبذلكَ يرى الباحثان أنَّ هذه الحقيقة تعززتْ بعادات المجتمع، وانتظمت بقوانينه على مرّ العصور فكانت الوجهة الحقيقية التي عكست صورة هذه البيئة، فالشجاعة، والإقدام والكرم من الصفات المحمودة في المجتمع الجاهلي، لكنها كانت تقوم على قاعدة الأعراف والتقاليد الاجتماعية للقبيلة، فمثلاً يقول عبد الله بن جدعان التميمي مفتخراً بكرمه ويرجى من وراء الكرم الفخر والاعتزاز بالنفس حيث يقول[2]:

إنّيْ وإنْ لمْ ينلْ مالي مدى خلُقيْ ... وهابَ ما ملكت كفي منِ المالِ

لا أحبسُ المالَ إلّاْ ريثَ أتلفهُ ... ولا تغيرُني حالٌ عنِ الحالِ

أمّا في صدر الإسلام، فقد بقيت هذه الصفات كما هي إلا أنّ مفهومها قد تغيّر، فأصبح معناها أكثر وضوحاً وعمقاً وشمولاً، فارتبطت بالإيمان، فمثلاً رسم حسان بن ثابت بعضاً من ملامح هذه المُثُل الّتي كونت الصُّورة الإيمانية الجديدة، ويرجى من البذل والعطاء وجه الله والاستجابة لأمره بالإنفاق والمثوبة من الله فقال:

لقدْ خابَ قومٌ غابَ عنهم نبيهم ... وقُدس من يسري إليهم ويغتدِيْ

ترحَّل عنْ قومٍ فضلّتْ عقولهم ... وحَلَّ على قومٍ بنورٍ مجدَّدِ

هداهم بعدَ الضَّلالةِ ربُّهم ... وأرشدَ من يتبعِ الحقَّ يُرشدِ[3]

فسيدنا حسان يقدم معالم الصورة الجديدة للإنسان، ويقارنها بصورة إنسان بقي على غيه وضلالته .

---

(1) أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي،دار الثقافة بيروت:95.

(2) ابن هشام، السيرة النبوية، ج3، : 65.

(3) حسان بن ثابت، ديوانه، ص: 61.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

أمّا الفرزدق، فيصور نفسه بعد الموت في معرض ردّه على الحسن البصري الّذي حضر جنازة زوجه النَّوار، فقال:

لقدْ خابَ مِنْ أولادِ دارمَ من مشَى ... إلى النارِ مغلولُ القلادةِ مُوثَّقاْ
إذا جاءنِي يومَ القيامةِ قائدٌ ... عنيفٌ وسوّاقٌ يسوقُ الفرزدقاْ
أخافُ وراءَ القبرِ إنْ لم يُعافِني ... أشد من القبرِ التهاباً وأضيقاْ
إذا شربواْ فيها الصّديدَ رأيتَهمْ ... يذوبونَ من حرٍّ الصديد تمزُّقاْ[1]

يبين الشّاعر الحقائق التي يعرضها بشعور العارف بهذا اليوم ومتطلباته، من الأعمال الخيّرة التي ترضي الله تعالى، وتجعل الإنسان يقف في المكان الذي أُمر أنْ يكون فيه، ويبتعد عن المكان الذي أمر ألا يقترب منه، إنها التقوى التي استمر مدلولها الديني سائداً على لسان الصحابة بعد وفاة الرسول (ﷺ) لم يقف الإيمان عند معنى بعينه، وإنما أخذ معاني كثيرة ؛ كالزهد الّذي أخذ بدوره معاني جديدة ومنها اللذة العقلية، وهي لذة العلم الّتي أقبل عليها الإمام علي كرم الله وجهه، ونهل منها ما وسعه، يقول:

ليس البليَّةُ في أيامِنا عجباً ... بلِ السلامةُ فيها أعجبُ العجبِ
ليس اليتيمُ الذي قدْ ماتَ والدُه ... إنَّ اليتيمَ يتيمُ العلمِ والأدبِ[2]

إذاً فاليتيم ليس من يفقد والده، إنما اليتيم هو من يفقد سلاحَ العلم والأدب والمعرفة؛ ومن يفقد هذا السلاح أصبح عالة على الحياة والمجتمع.

وهنا يجدُ الباحثان أنَّ الشّعر رسمَ صورة الحياة في هذا المجتمع التي وضع أساسها الدين الجديد وحصنها بالعقل، وزودها بالإيمان، وسما بها، فجاءت صورة واضحة المعالم، متناسقة بتفاصيلها، غنية بمزاياها، حاضنة للقيم الدّينية والاجتماعية لكنها

(1) الفرزدق، همام بن غالب بن صعصعة أبو فراس، ديوانه، تحقيق، عمر فاروق،دار الأرقم، بيروت، ط1 1418هـ، 1961م، ، ج1، : 441.

(2) علي بن أبي طالب، ديوانه، تحقيق كامل سلمان الجبوري، مطبعة كيميا، العراق، النجف الأشرف، ط1، 1426هـ :: 14.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

تغيرت بتغير الظروف الاجتماعية والسياسية التي مرّ بها الإنسان في مختلف نواحي الحياة، وعبر المراحل الزّمنية، كما بدا التطور ظاهراً في أسس تكوينها، ولا سيما انتقالها من التشتت والغموض، إلى النضوج والوضوح.

وخلاصة الأمر فالإسلامَ كانَ لهُ أثرهُ في نفوس العرب فجعلهم أمةً متحابةً يسودُهَا الخير والنماء وبذلك أصبحوا خير أمة أخرجت للناس.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

الخاتمة

الحمدُ للّه الَّذيْ شَيَّدَ بالعلم بنياناً، وجعلَ العلماءَ لهُ أَرْكَاْنَاَ، والصلاةُ والسلامُ على خير ولد عدنان وأشرف بني الإنسان سيّدنا محمد بن عبد اللّه وعلى آله وأصحابه الساترين على دربه، أمّا بعد :

فقد تمَّ بعون اللّه تعالى وتوفيقه هذا البحث الذي كان بعنوان: "السمات الاجتماعية والأدبية للعرب مابين الجاهلية والإسلام".

النتائج:

أولاً: إنَّ المجتمع الجاهلي كانت تسوده روح القبلية التي أدت إلى الحروب والمنافرات والمناظرات .

ثانياً: إن توحيد العرب في ديانة واحدة ألقى بظلاله على الأدب العربي واستخدم الشعر كأداة لإظهار القيم الدينية.

ثالثاً: إن ظهور الإسلام أثرى السمات الاجتماعية والأدبية والثقافية.

رابعاً: الشعر أصبح شارحاً وموضحاً كتاب اللّه وسنة رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم .

توصي الدراسة بتناول أدب تلك الفترة في تاريخ العربية من أطر متعددة تاريخية وأدبية ونقدية ولغوية مع إعطائها حقها ومستحقها من الشرح والتحليل.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم

- أحمد شلبي، التاريخ والحضارة الإسلامية، القاهرة، مطبعة النهضة المصرية الطبعة الرابعة 1966.
- الألوسي، محمود شكري الألوسي البغدادي، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، تحقيق محمد بهجت الأثري
- البيهقيي، أحمد بن الحسين، (شعب الإيمان) ط1 الرياض (مكتبة الرشد 2013م.
- الآمدي، أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي، المؤلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض أشعارهم ، دار الجيل، بيروت، ط1، 1999م.
- الجاحظ، الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط1، 1384هـ.
- جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، تحقيق شوقي ضيف، دار الهلال، ط1، ج1.
- حاتم الطائي، ديوان حاتم الطائي، دار صادر، بيروت، ط1، 1981م
- حسان بن ثابت، ديوانه، تحقيق وليد عرفان، دار صادر، ط1، 2006م .
- حسن الشيخ الفاتح الشيخ قريب الله، ، النظم والمظاهر الحضارية عند العرب، دار الجيل بيروت.
- الحصري القيرواني، إبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري، زهر الآداب وثمر الألباب، دار الجيل، بيروت.
- حمد خاكي ، المرأة في مختلف العصور، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1947م .
- أبو دياب، خليل إبراهيم أبو دياب، النابغة الجعدي، حياته وشعره - دمشق، دار القلم، بيروت، دار المنارة ط1 1987م.
- شاه عبد الكريم، منزلة الشعر في الجاهلية، جامعة العلامة إقبال المفتوحة، إسلام أباد، 2000م. 1986م.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

- الشكعة، مصطفى الشكعة، معالم الحضارة الإسلامية، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، 1975.
- ضيف، شوقي ضيف تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي، دار المعارف، القاهرة ، ط19.
- علي بن أبي طالب، ديوانه، تحقيق كامل سلمان الجبوري، مطبعة كيميا، العراق، النجف الأشرف، ط1، 1426هـ.
- عنترة بن شداد، ديوان عنترة، تحقيق محمد سعيد مولوي، الرياض،عالم الكتب،ط1996،3م ج2 ص 119.
- عثمان علي حسن، الدين وأثره في حفظ المجتمع،سلسلة التنوير جامعة أفريقيا.
- محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الإحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، ط1، 1952م.
- محمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، أدب الكاتب، دار الكتب العلمية، بيروت،لبنان، 2003م.
- المفضل الضبي، المفضل بن محمد بن يعلي بن سالم الضبي، المفضليات، تحقيق أحمد محمد شاكر عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، ط6، .
- مصطفى عبد الرازق، تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية، مكتبة المدينة، دار المعارف، ط1، 1972م.
- همام بن غالب بن صعصعة أبو فراس، ديوانه، تحقيق، عمر فاروق،دار الأرقم، بيروت، ط1 1418هـ، 1961م.
- أبو هلال العسكري، الحسن بن عبدالله بن سهل العسكري، الصناعتين (الكتابة والشعر) .
- يحيى الجبوري، الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه،مؤسسة الرسالة .

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com